المحاضرة الرابعة : قنوات التنشئة الاجتماعية

في نهاية هذه المحاضرة يُنتظر من الطالب أن يكون قادراً على:

1. التعرف على مفهوم قنوات التنشئة الاجتماعية وأهميتها في بناء شخصية الفرد .
2. التمييز بين مختلف قنوات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية .
3. تفسير الدور الذي تؤديه الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية .
4. تحليل إســـهامات المدرســـة في نقل القيم والمعايير الاجتماعية وتنمية الســـلوك الاجتماعي .
5. توضيح تأثير جماعة الرفاق في تشكيل الاتجاهات والميول والسلوكيات .
6. إدراك دور المؤسسات الدينية في غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية .
7. التعرف على تأثير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في عملية التنشئة الاجتماعية .
8. تفسير أثر المؤسسات الاجتماعية المختلفة في تكوين شخصية الفرد وتحقيق اندماجه الاجتماعي .
9. المقارنة بين أدوار قنوات التنشئة الاجتماعية المختلفة من حيث وظائفها وتأثيرها .
10. تقييم أهمية التكامل بين قنوات التنشئة الاجتماعية في إعداد الفرد للحياة الاجتماعية.

مقدمة

تُعد التنشئة الاجتماعية عملية أساسية وحيوية في حياة الإنسان، فمن خلالها يكتسب الفرد ثقافة مجتمعه ويتعلم قيمه ومعاييره وعاداته وتقاليده وأنماط السلوك المقبولة فيه. كما تمثل الوسيلة التي يتم من خلالها إعداد الفرد للعيش داخل المجتمع والتفاعل مع أفراده ومؤسساته بصورة تضمن استمرارية النظام الاجتماعي وتحقيق التوافق بين الفرد وبيئته الاجتماعية. وتبدأ هذه العملية منذ اللحظات الأولى من حياة الإنسان، وتستمر معه عبر مختلف مراحل العمر، متأثرةً بالخبرات والتجارب الاجتماعية التي يمر بها.

ولا تتم عملية التنشئة الاجتماعية بصورة تلقائية أو عشوائية، وإنما من خلال مجموعة من القنوات أو المؤسسات الاجتماعية التي تتولى نقل الثقافة الاجتماعية من جيل إلى آخر، وتعمل على تشكيل شخصية الفرد وتوجيه سلوكه وفق المعايير والقيم السائدة في المجتمع. وتختلف هذه القنوات من حيث طبيعة أدوارها ودرجة تأثيرها، إلا أنها تتكامل فيما بينها لتحقيق هدف مشترك يتمثل في إعداد الفرد للحياة الاجتماعية وتمكينه من أداء أدواره الاجتماعية بكفاءة وفعالية.

وتُعد الأسرة أولى هذه القنوات وأكثرها تأثيراً خلال السنوات الأولى من حياة الفرد، حيث يكتسب داخلها اللغة والقيم والعادات وأساليب التفاعل الاجتماعي. ثم تأتي المدرسة لتواصل عملية التنشئة بصورة منظمة ومقصودة من خلال البرامج التعليمية والتربوية المختلفة، إلى جانب جماعة الرفاق التي تكتسب أهمية متزايدة خاصة خلال مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة. كما تسهم المؤسسات الدينية ووسائل الإعلام والاتصال ومختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تعزيز عملية التنشئة وتوجيهها بما يتوافق مع أهداف المجتمع وتطلعاته.

ومع التطورات التكنولوجية المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، برزت قنوات جديدة للتنشئة الاجتماعية، خاصة وسائل الإعلام الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، التي

أصـــبحت تؤدي دوراً متزايد الأهمية في تشـــكيل الاتجاهات والقيم والأنماط الســـلوكية لدى الأفراد، مما جعل دراسة قنوات التنشئة الاجتماعية أكثر أهمية لفهم طبيعة التأثيرات المتعددة التي يتعرض لها الفرد في المجتمع الحديث.

وعليه، تهدف هذه المحاضـــرة إلى التعرف على أهم قنوات التنشـــئة الاجتماعية، وبيان خصـائص كل منها، وتحليل أدوارها ووظائفها في تكوين الشـخصـية الإنسـانية وإعداد الفرد للاندماج والتكيف مع مجتمعه، مع إبراز أوجه التكامل بينها في تحقيق أهداف التنشـــئة الاجتماعية.

- المؤسسات المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية:

* **الأسرة:** الأسرة هي المؤسسة الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل فأهميتها لا تقتصـــر على توفير الاحتياجات المادية للطفل: كالغذاء والكســـاء والمســـكن بل تمتد لتوفير الجوانب العاطفية والاجتماعية، فمنذ نعومة أظافره يجد الطفل نفســه محاصــرا بمجموعة من القوانين التي تحدد له ماذا يأكل، ماذا يلبس... وهي التي تحدد له اللغة التي يتحدث بها مع الآخرين، وهي التي تحدد له كيفية التعبير عن آرائه ورغباته...الخ، وقد وردت عدة تعريفات للأســـرة تختلف حســـب المدارس والنظريات التي انطلقت منها، يعرفها (عبد الله الرشـــدان) بأنها" رابطة اجتماعية تتكون من زوج و زوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، أو زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها" (الرشدان، 2008، صـفحة 116)، كما تعرف الأسرة كذلك بأنها" جماعة اجتماعية، تربط أفرادها روابط الدم و الزواج، يعيشـــون معا في حياة مشتركة، ويتفاعلون على نحو مستمر للوفاء بالمتطلبات الاقتصـادية والاجتماعية الضـرورية لبقاء الأسرة" (العاطي، 2000، صفحة 20)

* **المدرســـة:** إن التربية تبدأ عن طريق الأســـرة الصـــغيرة إلا أنه مع زيادة متطلبات الحياة وتعقدها وتطورها المتســـارع وزيادة الخبرات البشـــرية وانشـــغال الآباء والأمهات وكذلك نظرا لتعقد العلوم والمعارف وتضـخمها أوجب ذلك كله وجود مؤسسـة أخرى تساهم في نقل التراث الثقافي وتكيف الطفل للحياة من حولـه، وتعليمـه التقاليد والعادات والقيم والنظم، ومن هنا

جاءت المدرسة كمؤسسة اجتماعية تربوية، وبدأت تطرح نفسها كمسألة اجتماعية بالغة الأهمية والتعقيد.

و يعد (اميل دوركايم) Emile durkheim، أول من أشار إلى بروز مفهوم المدرسة بمعناها الدقيق، و تعتبر المدرسة المؤسسة التعليمية الهامة في المجتمع بعد الأسرة فالطفل يخرج من مجتمع الأسرة المتجانس إلى المجتمع الكبير الأقل تجانساً وهو المدرسة في سن الست سنوات، وهو يحمل معه الكثير من الخبرات و المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات التي تعلمها وتدرب عليها في المنزل، وهنا دور المدرسة أساسي في إتمام ما أعده البيت، وإتاحة الفرصة لإضطراد عمليات النمو، والمدرسة كما يرى (دويدار) "مجال رحب لتعلم الطفل المزيد من المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات والأدوار الاجتماعية الجديدة بشكل مضبوط ومنظم، ففيها يتعلم الاعتماد على النفس والتنافس وتحمل المسؤولية، واحترام القانون والتمسك بالحقوق والواجبات، والعمل بروح التعاون، والتخلي عن الأنانية والانفرادية وضبط الانفعالات" (دويدار، 1999، صفحة 107)

وظائف المدرسة: تلعب المدرسة دورا بارزا في حياة الطفل، ويمكن تناول مسؤوليات المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في وظيفتين هما:

*** الوظيفة التربوية:**

– تقديم الرعاية النفسية للطفل ومساعدته في حل مشكلاته وجعله متوافقا نفسيا واجتماعيا.

– مراعاة قدراته فيما يتعلق بعملية التربية و التعليم.

– تستطيع أن تدعم وترسخ كثير من المعتقدات والاتجاهات والقيم الحميدة التي اكتسبها الطفل في البيت، كما يمكنها أن تحمي من بعض العادات والقيم غير السليمة التي اكتسبها الطفل في البيت، مستعملة في ذلك أسلوبي الثواب والعقاب.

– يمكن للمدرسة من خلال بعض الأنشطة الهادفة أن تزيل بعض ما يعلق بنفس الطفل من شوائب نتيجة للصراعات المنزلية التي عناها، كما يمكنها أن تعمل على تحقيق الاستقلال العاطفي للطفل عن الأسرة.

– مساعدة الطفل على تحقيق أهدافه بطريقة تتفق مع القيم والمعايير التى يقرها المجتمع.

* **الوظيفة الاجتماعية:** يتفق الباحثون على أن الثقافة تتراكم بانتقالها عبر الأجيال من خلال التربية، وفي ظل المدرسة الحديثة أصبحت التربية و دورها في نقل التراث الثقافي هي الوظيفة الأساسية لهذه المؤسسة، وإجمالا يتمثل دورها في شقها الاجتماعي كما أورده (عبد الكريم غريب) فيمايلي:

– **تبسيط التراث الثقافي وخبرات الكبار:** وتقديمهما وفق نظام تدريجي، يتوافق وقدرات الأفراد، وعلى هذا النحو يتدرج الطفل في تعلمه من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الأصعب، ومن المحسوس إلى المجرد، فالمدرسة كمؤسسة تربوية متخصصة تشكل أول فضاء بعد الأسرة يزود الطفل بالبيئة الاجتماعية المبسطة.

– **تنقيح وتطهير التراث الثقافي وخبرات الكبار:** فوظيفة المدرسة كذالك بالإضافة إلى تبسيط التراث الثقافي، تنقيح وتطهير التراث مما يفسد نمو الطفل ويؤثر سلبا على تربيته، فعمل البيئة المدرسية كمؤسسة تربوية متخصصة يتمثل في حذف كل ما هو غير ملائم من البيئة الخارجية، كي لا يؤثر في عادات الطفل واتجاهاته.

– **توفير بيئة اجتماعية تكون أكثر اتزانا من البيئة الخارجية:** مما يؤثر في تنشئة التلميذ وتكوين شخصيته بشكل يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع ومن العمل على تطويره (غريب، 2014، صفحة 57)

* **جماعة الرفاق:** وهي الجماعة التي تتكون من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون في أعمارهم وميولهم وهواياتهم؛ وبانضمام الطفل إلى هذه الجماعات فإنه يقابل نماذج قد يتخذها مثلا أعلى ويمتص الصفات المحببة فيها .

وهذه الجماعات تلعب دورا بارزا في عملية التنشئة الاجتماعية فهي <<تؤثر في قيمه وعاداته واتجاهاته كما أنها تساعد على تكوين المعايير الاجتماعية لدى الطفل وتدريبه على تحمل المسؤولية، وتساعده على تحقيق أهم مطالب النمو وهو الاعتماد على النفس والاستقلال. كما تساعد على إشباع حاجة الفرد إلى المكانة والانتماء >> (الدمنهوري، 2006، صفحة 39)

- **الدور التربوي لجماعة الرفاق:**

- إتاحة الفرصة للطفل للتجريب والتدريب على أنواع مختلفة من السلوك.

- إتاحة الفرصة للطفل لتقليد الكبار والاقتداء بهم بعيدا عنهم في جو يتسم بالسماحة والاعتماد على النفس.

- ملئ الفجوات وسد الثغرات التي تتركها الأسرة والمدرسة في معرفة الطفل.

- تشجيع القدرة على القيادة عن طريق القيام بأدوار اجتماعية معينة

- العمل على تحقيق أهم مطالب النمو الاجتماعي وهو الاستقلال والاعتماد على النفس

- المساعدة على النمو الجسمي عن طريق إتاحة الفرصة لممارسة النشاط الرياضي والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات والنمو الاجتماعي عن طريق أوجه النشاط الاجتماعي وتكوين الصداقات (عطية، 2012، صفحة 207)

* **وسائل الإعلام:** تعتبر وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، ذات أهمية كبرى في حياة الإنسان في هذا العصر، فلم يعد الإنسان المعاصر قادر على الاستغناء عن زاد يتزود به يومياً من المادة الإعلامية سواء كانت مسموعة أو مقروءة أو مرئية، و وسائل الإعلام مؤسسة أخرى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية تلعب دورا مهما في عمليات التثقيف والتعليم والتوعية للطفل، فالنظام الإعلامي على حد تعبير (محي الدين مختار)" يستخدم كمعلم لنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى آخر" (مختار، د.س)، ولكونها منتشرة بشكل واسع، فإن وسائل الإعلام الجماهيرية تحمل تأثيراً كبيراً إلى المتلقي مع المعلومات، خاصة إن كان

طفلاً ناشـــئاً، ويعتبر دورها مركزاً على نشـــر المعلومات المتنوعة وإشـــباع حاجات نفســـية مختلفة، ودعم اتجاهات نفسية معينة وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها والتوافق في المواقف المستجدة، ولذلك فإن تأثيرها بالغ الأثر.

ويمكن القول أن وســائل الإعلام ســلاح ذو حدين فقد تكون وســيلة نافعة من وســائل الثقافة وأداة فعالة لإرســاء القواعد الخلقية والدينية كما تستطيع كذلك أن تسمو بالعقل ليخرج أحسن ما به من تفكير وابتكار وخيال خصب منتج، ومن ناحية أخرى إذا أهملت أو أسيء استخدامها ولم توجه توجيها صحيحا تصبح سلاحا معرقلا للتنشئة الاجتماعية، مثل غرس قيم العنف الشخصي ضد الذات والأسرة والمجتمع.

- الدور التربوي لوسائل الإعلام والاتصال:

- إثارة النشاط العقلي لدى الطفل وتوسيع مداركه وتنمية تفكيره وحب الاستطلاع لديه.

- تعزيز مدركات الطفل الثقافية وتنميتها وإثراء القاموس اللغوي والمعرفي والكلامي لديه

- تنمية الميول والاتجاهات الايجابية والقيم الحميدة المرغوبة وترســـيخها في نفس الطفل، كتعليمه العناية الشخصية بالنظافة والمحافظة على الأسنان والجسم.

- تقديم الأنماط الســـلوكية المناســـبة والنماذج المثالية في التربية، فالطفل يكتســـب الطفل الأدوار التربوية الإيجابية على المستوى الأخلاقي والســـلوكي وذلـــك عـــن طريـــق التقليد والتقمص للشخصيات المعروفة.

- مساعدة الأطفال في اختيار هوياتهم وتعزيز ميولهم وصقل مواهبهم.

- تشكيل وجدان الطفل والترويح عن نفسه وإدخال البهجة والأمل والسرور إلى حياته .

* **دور وأماكن العبادة:** لأماكن و دور العبادة تأثير قوي في تنظيم المجتمع وضـــبطه وتماسكه، وهي إحدى المؤسسات الفعالة التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، بل يفوق تأثيرها تأثير كل مؤسسات الاجتماعية الأخرى خاصة في المجتمعات الإسلامية،

ويظهر دور المؤسسات الدينية في التربية بوضوح لكون الدين يدخل في النسيج الاجتماعي المسلم.

وتقوم المؤسسات الدينية بدور فعّال في تربية الطفل وتشكيل شخصيته وتنشئته الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها ثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأطفال والكبار، بأساليب نفسية واجتماعية متباينة، وإن النمو الديني لدى الفرد يكون تدريجيا حسب مراحل عمرة، فالطفل لا يفهم معنى العديد من المفاهيم الدينية لأن قدرته العقلية لا تقوى على إدراك المعنويات المجردة، كالخير والشر والصلاح والتقوى، ولكنه يدرك فقط الأمور الملموسة التي يستطيع مشاهدتها، ثم بعدها في مرحلة المراهقة مثلا فإنه يلجأ إلى الدين لحل بعض مشكلاته، ولكي يجد فيه السند والشعور بالأمن والطمأنينة. (الجبلي، 2000، صفحة 221)

- الدور التربوي لدور العبادة:

- تعليم الطفل التعاليم الدينية وترجمتها إلى سلوك عملي.

- تزويد الطفل بإطار سلوكي معياري راض عنه ويعمل في إطاره.

- إكساب الطفل قيما واتجاهات ومعارف دينية واجتماعية وخلقية متنوعة وترسيخها لدية من خلال الخطب والمواعظ والدروس.

- تطويع الشخصية والنفس الإنسانية بما يضمن لها الخير والسلامة من خلال التأثير العظيم الذي تحدثه القيم الروحية والأخلاقية في النفس.

- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات مما يؤدي إلى تواضع الطبقة الاجتماعية العليا وشعور الغني بالمسئولية تجاه الفقير والمساواة بين الجميع.

* **النوادي و المرافق الاجتماعية العامة:** هي مؤسسات اجتماعية تربوية تكون في الغالب ثقافية أو رياضية أو اجتماعية، وقد كثر انتشارها في المجتمعات المعاصرة، وهي أماكن يلتقي فيها الفرد مع فئة من الناس يجمعهم هدف مشترك أو مصلحة مشتركة، ففي الأندية

فرص سانحة لممارسة الرياضة المفضلة، وتكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، وتزداد أهمية النوادي والمرافق الاجتماعية في التنشـــئة الاجتماعية للطفل كما يرى ذلك بعض الباحثين بالموازاة مع انحصـــار الدور التربوي للأســـرة و عجزها عن توفير الفرص الكافية والمناسبة لممارسة مختلف النشاطات الرياضي والترفيهية والاجتماعية والثقافية المختلفة.

– **الدور التربوي للنوادي والمرافق الاجتماعية العامة:** على اختلاف أنواعها تكتسي النوادي أهمية بالغة في حياة الإنسان خاصة في مرحلتي الطفولة والشباب التي يكثر الإنسان من خلالها تواصله مع هذه المؤسسات، إذ أنها تسعى جميعا إلى هدف مشترك ألا وهو المساهمة في بناء شخصية الإنسان من جميع جوانبها سواء من الجانب الاجتماعي وذلك من خلال تكوين صـــداقات وتعزيز التواصـــل الاجتماعي للطفل من خلال اللعب الجماعي والاحتكاك بالغير، أو الجانب الجسمي من خلال ممارسة الرياضة المفضلة والاعتناء بالجسم وتربيته، أو من الناحية العقلية من خلال الانضـــمام إلى الألعاب التي تعمل على تنشـــيط الذاكرة وتنميتها، أو من الجانب الخلقي من خلال الانضـــمام إلى الجمعيات التي ذات الطابع الخيري.

كما تكتسي النوادي والمرافق الاجتماعية أهمية بالغة من خلال اكتشاف الاتجاهات والميول المبكرة للطفل ومحاولة صقلها واستغلالها على نحو أفضل، بالإضافة إلى ما سبق كذلك لها آثار ايجابية تتمثل في شغلها لأوقات الفراغ عند الطفل بما يعود عليه بالنفع والفائدة .